المؤسس الحقيقي لمدرسة المعتزلة أبوهذيل العلاف

آراؤه الكلامية ،الآلهية ،الإنسانية ،الطبيعية ،وما تفردَ به من آراء

* الدكتور : صلاح حسن شنيب

تمهيد ،،

يتناول هذا البحث في الأصل مقدمة وافية عن مدرسة المعتزلة – الواضعون الحقيقيون لعلم الكلام في الإسلام – بفرعيها البصريّ والبغدادي ، وأسلافهم وكيفيّة ظهورهم في الأمة الإسلامية حتى أصبحت المذهب الرسمي للدولة العباسية زمن المأمون والمعتصم والواثق ، وسبب تسْمِّيتهم بهذا الاسم– المعتزلة – وأصولهم الخمسة التي قامت على أساسها مدرستهم وهي : التوحيد – العدل – المنزلة بين المنزلتين – الوعد والوعيد – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأقتصرُ في بحثي هذا عن الحديث عن مؤسس هذه المدرسة الحقيقي كما يصفه مؤرخي الفرق آلا وهو أبوهذيل العلاّف الذي اكتملت دعائم وأصول المعتزلة الخمسة على يديه ، حيث تكلمت عن سيرة حياته في نبذة موجزة عنه ، وأهم آرائه الكلامية الآلهية والإنسانية والطبيعية ، وما انفرد به من آراء كلامية .

مشكلة البحث :

ما لقضايا التي شغلت عقول علماء الإسلام – ونعني هنا بوجه خاص علماء الكلام – ممثلين في مدرسة المعتزلة ومؤسسها الحقيقي وفيلسّوفها الكبير أبو هذيّل العلاّف إبّان ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وبلوغها أرقى مَجْدّها وكيف عالجوا تلك القضايا ، وما لطرق والأساليب والمناهج التي سلكوها واتبعوها في ذلك وما هي أهم الحلول والنتائج التي توصلوا إليها .

أهداف البحث :

تكوين صورة واضحة لفكر العلاّف وتحفيز القارئ ليعمل عقله فيها وخاصة لدى طلبة العلم ، لاسيما أنَّ المكتبة العربية تفتقد لكتب العلاّف نفسه .

منهج البحث :

يقوم البحث على المنهج الوصفي أو الكيفي وذلك بتحليل أفكار العلاّف ثم تركيبها ووصف العلاقات التي تربط بينها ثم تفسيرها لإعطاء صورة واضحة عن فكر العلاّف والاستقراء لتتبع الفكرة من جذورها حتى النضج.

* عضو هيئة تدريس بقسم الفلسفة – كلية الآداب زليتن– الجامعة الأسمرية الإسلامية

ترجمة : أبو هذيل العلاف *

من أقوي الشخصيات في مدرسة البصرة " أبوالهذيل العلاف"كان رئيس الاعتزال في عصره ، وإليه يرجع الفضل في تطعيم مبادئ الاعتزال بمبادئ الفلسفة ، هو محمد بن الهذيل العلاّف من موالي عبد القيس ولذلك يقال له العبدي جعله القاضي عبدالجبار في كتابة "طبقات المعتزلة" في الطبقة السادسة وقال عنه "وكان عالم عصره لا يتقدمه غيره ، وكان يلقب بالعلاف لان داره بالعلافين.."[1] ، وقد عمر نحو مائة سنة ، كان تقريبا المئة الأولى للدولةالعباسية ومات سنة 235هـ في أول خلافة المتوكل ، وبلغ ذروته في ايام المأمون ، فقال الدينورى: ((وعقد المأمون المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات ، وكان أستاذه فيها أبو الهذيل العلاف)) وقد كان واسع الاطلاع ، كثير الحفظ للشعر العربي[2] كثير الاستشهاد به فصيح القول ، جيد المناظرة ، قال المبرد:((مارأيت أفصح من أبي الهذيل والجاحظ وكان أبو الهذيل احسن مناظرة ، شهدته في مجلس وقد استشهد في

* أبو الهذيل العلاف : محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول العبيدي ، متكلم شهير من أعلام المعتزلة ، ولد في البصرة وعاش في بغداد ، أخذ الاعتزال عن عثمان الطويل أحد أصحاب واصل بن عطاء , أطلع علي الفلسفة اليونانية وتأثر بها كان يرى أن الانسان قادر خالق لأفعاله في الحياة الدنيا باعتبارها دار عمل وتكليف ، لكنه غير مختار لأفعاله في الآخرة باعتبارها دار جزاء ، ونص علي التثبت من الاخبار ، عرف اتباعه بإسم "الهذيلية" ، وهناك اختلاف في تاريخ وفاته فهناك من يقول أنه توفي عام226 هـ 840- 841م ، وتذهب رواية أخرى إلى أنه توفي في خلافة الواثق 227- 232هـ 842- 847م في حين تذكر رواية ثالثة أن وفاته كانت عام 235هـ- 849- 850م ، في خلافة المتوكل ، أنظر مادة أبي الهذيل العلاف : دائرة المعارف الاسلامية:ط2:م1: ص127:ويقول شاخت وبوزورت : في : تراث الاسلام : "وقد اعتبرناهم فلاسفة، ولكننا نستطيع أن نعتبرهم ايضا علماء عقائد"theologians" وحاولوا أن يفهموا العقيدة بما يتفق مع مقتضيات العقل ، وأن يدافعوا عن العقل ضد منتقصيه وهم أول من حاول أن يقدم عرضا منظما"systematic" للعقائد الايمانية ، وعلي هذا النحو فإن واحدا من شيوخهم الاوائل ، وهو أبو الهذيل العلاف (ت235هـ-849م) اتبع المنهج التالي في بيان العقيدة الاسلامية :

أولا : الكلام عن القدر والصفات الالهية .

ثانيا: التحدث عن وحدة الذات والصفات .

ثالثا: عن المعاد وما يتعلق به من وعد ووعيد.

رابعا: في المصطلحات الشرعية والاحكام .

خامسا: عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودور النبوة والخلافة.

ترجمة وتحقيق . حسين مؤنس ، إحسان صدقي العمد. م ، فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة. الكويت.ط2 1988.ص80.

يضعه أحمد بن يحي بن المرتضي في كتابة "طبقات المعتزلة" في الطبقة السادسة : تحقيق : سوسنة فلزر : فرانزشتاينر : ط1987م فيسبادن :ص44 ، ويفعل القاضي عبدالجبار في كتابه طبقات المعتزلة "نفس الشيء :تحقيق فؤاد سيد/ الدار التونسية للنشر :د.ت.تونس:ص254.

[1] المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

[2] انظر المصدرين السابقين ، الأول : ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص46، والثاني : القاضي عبد الجبار : طبقات المعتزلة :ص255 وما بعدها.

جملة كلامه بثلاث مائة بيت))[1]، وقد ناظر صالح بن عبدالقدوس _ الذي يرى رأي الثنوية _ فأفحمه , فقال فيه صالح:

((أبا الهذيل جزاك الله من رجل فأنت حقا لعمري مفصل جدل)) [2]

كما أنه اتصل بالفلسفة اليونانية وقرأ فيها[3].يقول:- النظام إنه نظر في كتب الفلاسفة وهو بالكوفة، فلما ورد البصرة كان يظن أنه علم من لطيف الكلام مالم يعلمه أبو الهذيل ، قال النظام : فلما ناظرته خيل إليَّ أنه لم يكن مشاغلا قط إلا بها))[4]، ولعل اتصاله بالفلسفة هو الذي مكنه من تنظيم مبادئ المعتزلة وفتح له وجهات نظر لم تكن معروفة ، وقد امتلأت حياته بالمناظرة والجدل مع الزنادقة ، والشكاكوالمجوس والثنوية ورووا ((أنه أسلم علي يده أكثر من ثلاثة الالف رجل))[5]وعلي الجملة فيظهر من مجموع ما نقل عنه انه كان من ناحيته العلمية كبير العقل واسع المعرفة ، ومن ناحية اللسانية قوي الجدل فصيح المنطق ، ومن ناحيته الخلقية فيه مغمز : ((فهو بخيل يدّعي الكرم يهمه المظهر أكثر ما يهمه المخبر وهو إلي الغفلة أقرب منه إلي المكر والدهاء)) [6] ويغلب علي الظن أن اتصال العلاف بالفلسفة التي ازدهرت ترجمتها في عهده –كان ذا أثر كبير في نبوغه وفتح أبواب التفكير العقلي الذي إشتهر به المعتزلة أمام أتباعه وتبين مجالات جديدة ، وطرائق للجدال والكلام ، ويضيف: د.علي فهمي خشيم في: كتابه :((الجبائيان)): ((ونحن نستطيع القول أن عصر المعتزلة الذهبي – من ناحية السلطان يبدأ بميلاد العلاف ويختفي بوفاته – أي حوالي قرن من الزمان وهو عمر هذا الشيخ (135- 235تقريبا) ، وكان هذا المجد يعتمد في الجزء الاكبر منه علي تأييد الخلفاء للمعتزلة واحتضانهم اياهم ، فمنذ قامت الخلافة العباسية (ستة132هـ) .

كان المنصور[1] يولي عمرو بن عبيد احترامه ويقدمه علي كثيرين غيره[2]، ثم لم يظهر المعتزلة ظهورا كاملا الا في عهد المأمون والمعتصم والواثق ، حتي بداية عهد المتوكل (232هـ) وفي هذه

---

[1]انظر ابن المرتضي : طبقات المعتزلة :ص45.

[2]المصدر نفسه : ص46- 47، والقاضي عبدالجبار – طبقات المعتزلة ،ص258.

[3] انظر : د.محمد عبدالهادي أبوريدة : ابراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية :لجنة التأليف والترجمة ط1946م القاهرة .ص80.

[4]القاضي عبدالجبار :طبقات المعتزلة :ص154.

[5]تكررت هذه العبارة بعينها في كتب الأقدمين والمحدثين ، كإبن المرتضى في الطبقات : ص44 ود أحمد آمين في ضحى الاسلام ج3 ص578 ، ود محمد عمارة: تيارات الفكر، ط2 2007 : القاهرة :ص79.

[6]استفذت كثيرا من آرائه :أحمد آمين :ضحي الاسلام :ج3:دار الكتاب العربي:2008م القاهرة ص577 وما بعدها.

[1]أبو جعفر المنصور ، ثاني خلفاء بن العباس ، وهو الذي بني بغداد ، ولم يكن من جاء بعده –خاصة الرشيد- يقربون المعتزلة ، فبقي شيوخهم بعيدا عن بغداد ، حتي إذا قصدها بشر بن المعتمر ، حبسه الرشيد ، ثم أطلق سراحة بعد إنتشار شعر قاله ،وهو في

الفترة كان مذهب المعتزلة قد تبلور وقام علي أسسه المعروفة وتحددت معالمه بتحدد أصوله الشهيرة [3] وهي الاصول الخمسة ((التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر)).

أهم أراء ابو الهديل العلاف

((هو المؤسس الحقيقي لمدرسة المعتزلة ، نمى آراءها وطورها ،و غذاها بغداء جديد وعلي يديه نشأ عدد غير قليل من كبار المعتزلة))[4] ، تلك هي شهادة المرحوم د. إبراهيم مدكور، وبالفعل ففي عهده اتصلت المعتزلة بالفلسفة واستخدمتها سلاحا لدفاع عن عقيدة الاسلام وعلي يد ابي الهذيل اكتملت الاصول الخمسة المعتزلة ،وللأسف الشديد ،كما يشير د/ ابراهيم في كتابه " في الفلسفة الإسلامية " لم يبق الزمن علي شئ من مؤلفاته ، مما يُصَّعِب مهمة دراسته علي الباحثين ، ومن أهم:

1- آرائه الكلامية:

أ- ذات الله تعالي :*

الحبس ، وبمجيء المأمون- مؤيد الاعتزال – تهيأ الجو في بغداد للمذهب أن ينتشر وتتكون مدرسة بغداد : القاضي عبدالجبار : طبقات المعتزلة :ص52.

[2] جاء في طبقات المعتزلة للقاضي عبدالجبار. وكان المنصور العباسي يبالغ في تعظيمه- يعني عمرو بن عبيد – حتي قيل له : أن عمرا خارجا عليه :فقال هو برئ ان يخرج علي إذا وجد ثلاثة مائة وبضع عشرة مثله وذلك لا يكون ومر بقبره. فصلى عليه ودعا له وقال:

صلي الأله عليك من متوسد	قبرا مررت به علي مران
قبراً تضمن مؤمنا متخشعا	عبدالإله ودان بالقرآن
وإذا الرجال تنازعوا في شبهة	فصل الحديث بحجة وبيان
ولو أن هذا الدهر أبقي صالحا	أبقي لنا عمراًأبا عثمان

ولم يسمع بخليفة رثى من دونه إلا هو :ص40- 41.

[3] انظر : د.علي فهمي خشيم: الجبائيان : أبو علي وأبو هاشم : رسالة ماجستير منشورة : الجامعة الليبية :ط1:1968 :طرابلس :ص48- 49.

[4] ابراهيم مدكور ، في الفلسفة الاسلامية ، منهج "وتطبيقه،ج2،ص40.

*جدير بالذكر والملاحظة أن كثيرا من علماء المعتزلة سعوا جادين من أجل تعليل الصفات الإلهية علي النحو الذي يصون فكرة الوحدانية ، دون أن ينال من الكمال الآلهي، وقد أورد الأشعري في معرض كلامه عن مذهب المعتزلة أربعة محاولات مختلفة لمعالجه هذا الإشكال:

(أ) فذهب بعضهم ، كما يقول الأشعري ، إلي أننا عندما نقول إن لله صفات منها العلم والقدرة والحياة...الخ فالمقصود مجرد إثبات كونه عالما وقادرا وحيا ، وأنه بالتالي ليس جاهلا ولا عاجزا ولا ميتا – سبحانه –لأن هذه الأوصاف لا تجري عليه – سبحانه – وهذا في ما ذكره الأشعري رأي النظام وعليه أكثر أساتذة المعتزلة بفرعيها البصري والبغدادي .

(ب) وذهب البعض الآخر إلي أن القول بأن لله صفات العلم والقدرة ... لا يعني أن صفتي العلم والقدرة مسندتان إلي ذاته ، بل إلي موضوعهما ، الأمر المعلوم أو المقدور عليه.

(ج) والبعض الأخر وفيهم العالم الشهير أبو الهديل وأتباعه ، سلموا بصحة القول إن لله صفات العلم والقدر والحياة...الخ ولكن علي معني أنها هي وذاته شيء واحد لا غير.

لا يخالف أبو الهذيل العلاف – وهو رئيسهم الأعظم[1]– فيما يتعلق بذات الله ما يعّمُ سائر المعتزلة من تنزيه الله التنزيه المطلق وإثباته ذاتاً قديمة ، ونفي الصفات الزائدة علي الذات ، وكلامه عن الذات الإلهية كلاما سلبيا يحصل كله معني تنزيه ذاته سبحانه عن الجسمية والجوهرية والعرضية والمكانية والزمنية "فأبو الهذيل ينفي عن الله تعالي شبه خلقه من كل وجه ويثبته واحدا ليس بجسم ولا بذي هيئة ولا صورة ولا حد وأنه "چ□□□چ"[2]."[3]، وينفي عن الله معني الحلول في الغير، وينزهه عن الطول والعرض والعمق ، وأنه ليس له سبحانه لون ولا طعم ولا رائحة "فالله واحد ليس كمثله شيء ، وليس بجسم ، ولا شبح ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا مجسة ، ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا يتحرك *ولا يسكن ولا يتبعض وليس بذي أبعاض وأجزاء** وجوارح وأعضاء ،وليس بذي جهات ، ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ، ولا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان ، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة علي حدثهم

(د) وأخيرا ، عارض البعض صحة أيراد هذه القضية بهذا الشكل ، وذهبوا إلي أنه من الخطأ أن يقال إن له تعالي قدرة وعلما وحياة....الخ أو إنّ يقال أن ليس له ذلك ، وكان هذا ، علي ما يبدو ، رأي شيخ كبير آخر منهم هو عباد بن سليمان وأتباعه : أنظر ماجد فخري : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، دار المشرق "ط2 ، 2000م بيروت ص110- 111.

[1]حسب تعبير – أبي المعين ميمون بن محمد النسفي (الماتردي) ت508هـ 1114م: (تبصره الأدلة : في أصول الدين) تحقيق ، كلود سلامة :ج1، ط الجفان والجابي للطباعة والنشر – ط1 ليمساول 1990م قبرص ،ص205.

[2]سورة الشورى أية :(11).

[3]الخياط ، الانتصار والرد علي ابن الراوندي الملحد ، ص41.

*هناك أحاديث نبوية تصرح بنزول المولي تبارك وتعالي ، نزولا يليق بذاته العلية للسماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل (فينادي) فإله المؤمنين يختلف عن إله أرسطو الذي يحرك ولا يتحرك ، فوجب التنبيه والله اعلم .

**لاحظ أداة النفي (السلب ثم لاحظ هذه الألفاظ والمصطلحات الفلسفية الناشئة بلا شك من مطالعة كتب الفلسفة ، والصدر الأول من السلف الصالح – الصحابة بل خيار التابعين ، وأصحاب المذاهب ، أبو حنيفة – وإن نسبوا إليه رسالة في علم الكلام ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل – رووا عنهم كراهتهم لعلم الجدل والكلام – ولم يعرفوا مسالة "الذات والصفات هذه " نعم عرفوها من القرآن ولكن لم يخوضوا في معناها وجادلوا : كما قال الإمام مالك حين سئل عن كيفية استواء الله علي عرشه ، فقال بلسان عربي مبين : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعه ! وما أراك إلا ضالا ! ومن أجمل ما قرأت في تفسير قوله تعالي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) هو : اعجاز القرآن الكريم في الجمع بين نفي الشبه أو التشبيه عن الله تعالى وإثبات السمع والبصر في آن واحد ، فالمشبه يعبد صنما والمعطل يعبد عدما ، فالأسلم أن نفوض المعني لله وأن نعمل بالمحكم ونؤمن بالمتشابه وقد نعذر المعتزلة وإلا شاعرة لما شهده عصرهم من شدة الهجوم علي الإسلام والمسلمين بسلاح الفلسفة ، ونقول مع د/ محمود قاسم : مقدمة في نقد مدارس علم الكلام والحق في رأينا أن مذهب السلف كان أكثر حكمة ، واهدي سبيلا وربما لم يكن من الغلو أن نصف هؤلاء الذين استخدموا طرق الجدل في تحديد الصفات بأنهم كانوا مبتدعين ولكن يبقي ، بعد ذلك كله أن المعتزلة كانوا أقرب إلي الشاعرة إلي روح الآية الكريمة التي تقول "ليس كمثله شيء" ، ص39,40 ، ولمزيد من التوسع : انظر : عبدالحليم محمود : الإسلام والعقل : دار المعارف ، ط3 ،1983 القاهرة ، ومحمد يوسف موسي : القرآن والفلسفة : الفصل الثالث: ذات الله وصفاته/ دار المعارف .ط 1958م .ص65 وما بعدها.

،ولا يوصف بأنه مثناه ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات ، وليس بمحدود،ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار، ولا تحجبه الأستار، لا تدركه الحواس ، ولا يقاس بالناس، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، ولا تجري عليه الآفات ، ولا تحل به العاهات ، وكل ما خطر بالبال و تصور بالوهم فغير مشبه له***، لم يزل أولا سابقا متقدما للمحدثات ، موجودا قبل المخلوقات ، ولم يزل عالما قادرا حيا ولا يزال كذلك ؟ لا تراه العيون ، ولا تدركه الأبصار ، ولا تحيط به الأوهام ولا يسمع بالاسماع شيء لا كالأشياء****، عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين الاحياء وأنه القديم وحده لا قديم غيره ولا إله سواه ، ولا شريك له في ملكه ولا وزير له في سلطانه، ولا معين علي إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق ، لم يخلق الخلق علي مثال سبق ، وليس خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر ولا بأصعب عليه منه ، ولا يجوز عليه اجترار المنافع ولا تلحقه المضار ، ولا يناله السرور واللذات ، ولا يصل إليه الأذي والالام ، وليس بذي غاية فيتناهي، ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص تقدس عن ملامسة النساء وعن اتخاذ الصاحبة والابناء[1] ونلاحظ هنا أن أبا الهذيل العلاف لا يصف ذات الله تعالي إلا بأوصاف سلبية لأن الصفات الايجابية – حسب منطق المعتزلة تؤدي إلي تركيب ، والتركيب في ذات الله سبحانه باطل ، ولو كان ذلك التركيب في العقل أو التعبير فقط ، وبذا يثبت أبو الهذيل التنزيه المطلق والوحدة التامة التي تنافى في التعدد والتركيب ولذا كذلك منع أن يكون الله تعالي (ماهية) لأنها تؤدي إلي التركيب المنطقي أي من الجنس والفصل ، والتركيب . بجميع أنواعه علي الله محال.

ب- صفات الله تعالي:[2] صفات ذات :

***هذه قاعدة اسلامية في العقيدة الإسلامية ، فالعقل الانساني قاصر عن إدراك عظمة الله تعالي لذا فمهما خطر الله ببالك فالله خلاف ذلك و العجز عن الإدراك إدراك ، ولذلك ، لما سئل أبو بكر الصديق كيف عرفت ربك ؟ قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي ، والله أعلم.

****وقد أورد القاضي عبد الجبار في كتابه : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : أن هشام بن عبدالحكم من غلاة الشيعة ، (رافضة) يسأل أبي الهذيل عن الله تعالي ، ما هو ؟ فقال : هو رب العالمين الرحمن الرحيم : فقال ليس هذا أريد ! فقال أبو الهذيل : هو الله أحد ، الله الصمد فقال له كيف هو ؟ فقال هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، فقال هشام : هو شيء فقال أبو الهذيل : هو شئ لا كالأشياء ، فقال له : لا يقنعني هذا الجواب، فقال له أبو الهذيل : وأخوك فرعون لم يقنعه جواب من كان اعلم منى ، وهو موسى حين قال :(رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) (سورة الدخان :آية <7>) ، فلم يدل عليه الا بفعله وخلقه ، وبين له أنه ليس بجسم . فإن هشاما كان مشبها ، فقال : إن الجسم لا يخلو من دلالة الحدث ، وقد صح أن الله تعالي قديم ، قال تعالي (يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذي تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) (سورة يونس :آية 104) فنبههم من حيث أنه يحي ويميت علي أنه هو الاله ، دون الأصنام ،ص104. وانظر للأهمية ، فصل ، فيما اجمعوا عليه من نفس التوحيد ،ص347.

[1] ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ،ت ، 324هـ ، مقالات الاسلاميين ،ج1 ،ص 155- 156.

[2] أبو الحسن الأشعري : مقالات الاسلاميين ،جـ1 ، ص165.

وهي عنده صفات ذات وصفات فعل وتعريف صفات الذات هي : التي لايجوز أن يوصف الباري بأضدادها ، ولا بالقدرة علي أضدادها ، كقولنا "الله عالم" فإن هذا الوصف لا يصح أن يتصف الباري سبحانه بضده ولا بالقدرة علي ضده وهو "الجهل" وكقولنا "قادر حي وكذا باقي الصفات الذاتية" لا يتصف الباري جل وعلا بأضدادها ولا بالقدرة علي كالعجز والموت...إلخ

- **صفات فعل**[1][2] :وهي التي يجوز أن يوصف الباري سبحانه لباضدادها، وبالقدرة علي أضدادها : كالإرادة ، فإنه يصح أن يوصف الله سبحانه بضدها وهي الكراهة ، وأن يوصف بالقدرة علي أن يكره ، وكذلك الحب والرضي يصح أن يوصف بضدهما وبالقدرة علي أن يوصف بضدهما وهما البغض والسخط.

- **الصفات الذاتية عين "نفس" الذات**[3]: يرى أبو الهذيل العلاف أن الصفاتالذاتية وهي العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والغني والعظمة والجلال والكبر والسيادة والملك والربوبية والقهر والعلو والقدمهذه الصفات هي نفس ذات الله تعالى، لذا سميت بالصفات الذاتية وهي ليس امرا زائدا علي الذات فإن علم الله هو الله وقدرته هي هو وحياته هي هو[4]. فإذا قلت إن الله عالم فقد ثبت لله تعالي علما هو الله ، ونفيت عنه جهلا[5]، إذن " ذهب أبو الهذيل الي اثبات صفات الذات الإلهية علي انها عين الذات *وإلي أن معني إضافة صفات الذات ، كالعلم إلى الله هو إثبات علم هو الله ، ونفي

---

[1] أبو الحسن الأشعري : ج1 ، ص177 – 180 .

[2] المصدر نفسه ،ج1 ،ص177 ، ص180 ، وانظر ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، جـ1 ، ص53.

[3] أبو الحسن الاشعري ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، ج1 ، ص165 ، "وذهب في الصفات مذهبا جديدا يعارض به معاصرا آخر هو عبد الله أبن كلاب السلفي ، فكان يري : أن، الله : عالم بعلم هو هو ، قادر بقدرة هي هو ، حي بحياة هي هو ، ((ويعمم ذلك في الصفات الآخرى ، فلا فرق عنده بين الصفة والذات ، وفي هذا ما يذكرنا بما قال به ارسطو من أن المحرك الأول عقل وعاقل في آن واحد ، ولا يتردد الأشعري في أن يقرر أن العلاف تأثر بهذا الرأي ، ويؤيده الشهرستاني في ذلك علي نحو ما)) إبراهيم مدكور : في الفلسفة الاسلامية :ص41 ومحمد عبد الهادي أبو ريدة : النظام وآراؤه الكلامية الفلسفية :ص80هذا ومن المعلوم أن ارسطو يرى أن المحرك الذي لا يتحرك : علم كله ، قدره كله ، حياة كله ، ويقول الاشعري أن الهذيل أعجبه ذلك ، وقال علمه هو هو ، وقدرته هي هو ، وانظر دفاع الخياط في (الانتصار) عن أبي الهذيل : ص 128.

[4] أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ،ج2 ، ص484- ص486 ، ويقول الشهرستاني في نهاية الأقدام " "صارت المعتزلة إلي أن الباري تعالي حي عالم قادر لذاته لا بعلم وقدرة وحيوة واختلفوا في كونه سميعا بصيرا مريدا متكلما علي طرق مختلفة ...وأبو الهذيل العلاف انتهج مناهج الفلاسفة فقال الباري تعالي عالم بعلم هو نفسه ولكن لا يقال نفسه علم كما قالت الفلاسفة عاقل وعقل معقول "ص180.

[5] محمد عبدالهادي ابو ريدة ، ابراهيم النظام ، وآراؤه الكلامية والفلسفة ، ص 80- 81.

*أي ان الحمل " المنطقي" ليس حملا حقيقيا يثبت معني زائد عن الذات أي أن حقيقة المحمول ليست غير حقيقية الموضوع ،حتى يكون هناك شيئان هما العلم المعبر عنه بعالم المحمول وذات الله تعالي ، بل هما شيء واحد هو ذاته تعالي التي يترتب عليها ما يترتب علي ذات وصفة معا ، فمثلا ذاتنا ليس كافية في انكشاف الاشياء لنا بل تحتاج علي صفة العلم التي تقوم بنا ، بخلاف ذاته تعالي التي لا تحتاج في انكشاف الاشياء وظهورها الى صفة تقومُ بها ، وهي بهذا الاعتبار تسمي – علما وبإعتبار تأثير ذاته سبحانه في الاشياء وصدورها عنهـــا تسمي – قدرة – وهكذا باقي الصفات هي والذات شيء واحد وانما الإختلاف في التعبير عنها لإختلاف لوازمها –

الجهل عنه ، ودلالة علي معلوم كان أو يكون . ومعني أن الله عالم عنده هو معني أنه قادر ، واختلاف الصفات كالقدرة والعلم إنما هو لاختلاف موضوعها المعلوم والمقدور ".

2- **الصفات الفعلية:-** وهي التي يصح أن يتصف الباري بضدها أو بالقدرة على ضدها ، أو ما كانت مشتقة من فعل من أفعاله ، أو من فعل من أفعال غيره يتعلق به كالعبادة والدعاء مثلا – ومنها : السخط والرضي والارادة والكراهة والكلام والعدل والخلق والخلق والإحياء والأمانة والموالاة والحب والبغض والجود والحلم والصدق والاحسان والمدح والذم والامر والنهي[1].

إذن فصفات الأفعال عند أبي الهذيل ومن وافقه من المعتزلة – ليس قديمة لأنها لا توجد ولا يصف بها الباري سبحانه إلا عند إرادة وجود الفعل أو وجوده وكذلك نعلم أنه لا يمكن حصرها ولا الوقوف بها عند عدد ومعين لأنها تتجدد بتجدد الأفعال التي يتصف بها إلا له الواحد سبحانه ،ولهذا لا يقول أبو الهذيل لم يزل الله مريدا للمعاصي ولا للطاعات ، ولم يزل متكلما راضيا ساخطا محبا منعما رحيما عادلا محسنا صادق خالقاً رازقاً بارئاً مصور مصيباً مميتاً آمراً ناهياً مادحاً ذاماً[2].ولا توصف بالقدم لأنها تحدث بحدوث متعلقها فهي عنده حادثة إلا أنها لا تقوم بذاته وليس لها محل كذلك تقوم به [3]. لأنها حادثة وقيام الحادث بذاته باطل.

آراؤه الإنسانية:

أ- الإنسان عند ابي الهذيل- هو الجسد فقط دون النفس[1] ويستدل بقوله تعالي ((خلق الإنسان من صلصال كالفخار))[2][3]وعرف الانسان بأنه هو الشخص الظاهر المرئي الذي له يدان ورجلان ولكن

كما شاهدنا في العلم والقدرة ، وهذا التعبير (الصفات عين الذات) هو مصطلح معتزلي عن جدارة تميزوا به حتى صاروا يلقبون انفسهم "بأهل التوحيد" بينما تميز الأشاعرة بمصطلح (الصفات زائدة عن الذات ولكن الصفات قائمة بالذات فالصفات ليس هي الذات ولا غيرها "أي لا هي هو ولا هي غيره ، انظر محمود قاسم مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ، ضمن مناهج الأدلة لابن رشد ،ص41- 42.

[1]أبو الحسن الاشعري ، مقالات الاسلامية ، ج1 ص186 ، ج2 ص582.

[2]الشهرستاني : الملل والنحل ، القاعدة التاسعة لأبي هذيل ، "حكي الكعبي عنه أنه قال ، ارادة الله غير المراد ، فإرادته لما خلق هي خلقه له ، وخلقه للشيء عنده غير الشيء ، بل الخلق عنده قول لا في محل " جـ1، ص36.

[3]الشهرستاني : الملل والنحل ،جـ1، ص34- 36 ، وانظر، دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام تحقيق ، د.محمد عبدالهادي ابو ريدة : ، مطبعة: لجنة التأليف والترجمة والنشر .د.ت القاهرة ص58 ،حيث يفرق ابو الهذيل بين امر التكوين (كن) الذي يحدث لا في محل ، وبين أمر التكليف الذي يخاطب به الناس في صورة امر ونهي ، و يقوم بمحل ، ويكون شأنه قاصرا علي هذا العالم الفاني.

[1]أبو الحسن الأشعري : مقالات الاسلامين ، ج2،ص24.

[2] سورة الرحمن ، الآية ، 12.

[3]الشهرستاني : الملل والنحل : القاعدة التاسعة لأبي هذيل ،" حكى الكعبي عنه أنه قال ارادة الله غير المراد ، فإرادته لما خلق هي خلقه له ، وخلقه للشيء عنده غير الشيء ، بل الخلق عنده قول لا في محل " ط1.ص36.

الشعر والاظافر ليست داخلةٌ فيما يشمله تعريف الانسان[4]((وليس كل بعض من أبعاض الجسد فاعلا – للأفعال علي الانفراد ولا أنه فاعل مع غيره ، ولكن الفاعل هو هذه الأبعاض))[5] وللنفس معنى غير الروح والروح غير الحياة ونتيجة لذلك , يجوز أن يكون الانسان في حال النوم مسلوب النفس والروح دون الحياة ![6] والحياة والنفس عرضان وليسا جسمين ، وتردد أبو الهذيل في الروح هل هي جسم أم عرض فهو يقول : عند كلامه علي أفعال الانسان المتولدة من فعله والتي قد تسبب موت غيره إذا رماه بسهم ثم مات الرامي قبل موت المرمي بالسهم بقوله (وخروج الروح إن كانت الروح جسماً أو بطلانها إن كانت عرضاً[7] والحواس الخمس غير البدن وهي أعراض ، وكل حاسة خلاف الحاسة الأخرى ، ولا أقول مخالفة لها لأن المخالف هو ما كان مخالفاً بخلاف[8] وبين أبو الهذيل أن الإنسان مستطيع أي انه يقدر علي الشيء وضده وإن الإستطاعة قبل الفعل وأنها عرض ، ولهذا فإنها لا تبقي بل تزول عند تمام الفعل ، وأنها غير الإنسان وليست هي الصحة والسلام ، بل هي شيء غيرهما ، والإنسان لا يقدر إلا علي ما يعرف كيفيته ، وأفعال الإنسان مباشرة أو متولدة وهما منسوبتان للإنسان ، وبين كيف يحدث الانسان الافعال في غيره ، وعقل الإنسان ثلاثة، أقسام: أولاً : ما تكون به العلوم الضرورية ،وما تكسب به المعارف النظرية ، والحسن الذي يمكن تعلقه ومعارف الإنسان ، إما معارف اضطرارية أو اختيارية ، وهي مراتب : أولا معرفة الانسان نفسه ، ثانياً: معرفة الانسان توحيد الله وعدله وما يجب لله بعقله ثالثاً : معرفته مالا يّعرف إلا بالسمع (الوحي) كأحوال الآخرة.

والقلب عنده هو محل الادراك ، والانسان مسؤول عن اعماله وأنه مختار في الدنيا لتحقيق هذه المسؤولية ، ولعدم مسؤوليته في الاخرة فإنه مجبور فيها.

(ب) الله جل جلاله محسن لعباده :"نظرية الصلاح والأصلح"[1]

---

[4]الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص329 ، وانظر، د.علي فهمي خشيم ، الجبائيان ، ص180.

[5]المصدر نفسه ، ص418.

[6]نفس المصدر :ص429 ، وانظر، د.علي فهمي خشيم ،الجبائيان ، ص 180- 181.

[7]أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، جـ2 ، ص339 .

[8]نفس المصدر ، ص339- 340.

[1]مدار هذه العقيدة : أن كل فعل صادر عن الله صلاح وخير ، وكل ما فعله من أجل عبادة ففيه نفع لهم ، والأصلح ليس الألذ "اللذيذ" ، بل هو ما حسنت عاقبته ، ومن المحال أن يأتي الله الشر بل هو غير قادر علي فعله ، عند بعضهم ، والله أسبغ علي عباده أفضل ما لديه ، ولو كان لديه أصلح مما أعطي ، ولم يعطيه ، لعد منه ذلك بخلا وظلما ، وها محال وكفر ، وعليه فإن خلق الله لا يزيد فيه ذرة – سبحانه ولا ينقص منه ذرة ، لعلمه أنه خلقه علي أفضل صورة ، وأصلح حال ، هذا وقد قال أكثر المعتزله بالأصلح ، ويقول د . ابراهيم مدكور : في الفلسفة الاسلامية ، "أن العلاف وضع دعائم فكرة الصلاح والأصلح ، فالله يفعل الأصلح دائما ، ويستطيع مادونه ولكن لا يفعله ، وما في العالم من ظلم أو جور إنما هو من صنع الانسان " ص41 , أما بشر بن المعتمر فقد خالفهم ، وقال بمبدأ اللطف ، فالله لديه ألطاف لا نهاية لها ، ولو منحها الكفار لآمنوا ونالوا الثواب ، واعترض عليه أصحاب الاصلح وعلي

الإحسان صفة من صفات الافعال للبارئ سبحانه ولكن في نظر أبو الهذيل لا يجوز ان يوصف الله سبحانه وتعالي بالإساءة الي مخلوقاته –لأنه تعالي لا يليق بحكمته وعدله وتأدبا وتنزيها له عن فعل ما هو قبيح- فلا يوصف الإله بالإساءة الي مخلوقاته بل هو يفعل الاصلح لهم ، "يقدر الله سبحانه على فعل ما هو أصلح ، لأنه أولي به ، ولأنه لم يخلق الخلق لحاجة به إليهم ، وانما خلقهم لأن خلقه لهم حكمة وانما اراد منفعتهم تبارك وتعالي ، فمن ثم لم يجز أن يدع ما هو أصلح ويفعل ما هو دون ذلك ، غير أنه يقدر علي دون ما صنع ومثله ، لأنه غير عاجز ولو لم يوصف بأنه قادر لكان على ذلك يوصف بالعجز.."[1]

فالله سبحانه وتعالي – وفق منطق العلاف – خلق عباده لمنفعتهم ،وهولهذا لا يدع الأصلح ويفعل ما هو دونه *

ج- ما يجب**على الله للإنسان : الله سبحانه وتعالى عادل وحكيم ، ولما كان عادلا وحكيما أوجب عدله عليه ايجاب جود لا ايجاب تكليف أشياء للإنسان لا بدله منها حتي تتم سعادته الدنيوية والأخروية وهي : أولا : اللطف : وهو الذي يقرب العبد الى الطاعة ، ويبعده عن المعصية ، كبعثة الانبياء ، فإن الناس مع النبوة اقرب الي الطاعة وابعد عن المعصية ، والله سبحانه مريد لعباده الخير والنفع والسعادة ، يبعث لهم الانبياء ليرشدوهم الي طريق الخير الذي هو سبب اسعادهم ، ويجنبهم طريق الشر الذي يؤدي الي شقائهم ، وهذا هو اللطف الواجب علي الله سبحانه للإنسان ، أما ترك الإنسان بتخبط في شهواته ، وتلعب به الشرور، فلا يهتدي الي طريق الخير فهو ظلم والظلم علي الله محال ، لهذا أوجب على نفسه تفضيلاً منه إرسال الرسل ليعلموا الناس طريق الخير ويبينوا لهم طريق الشر ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينه ، وقد عرف القاضي عبدالجبار : أن اللطف هو

اتباعه حتي عاد الى رأيهم ، انظر كمال اليازجي وانطون كرم اعلام الفلسفة الاسلامية ، ص125 ، ولمزيد من التوسع د.علي فهمي خشيم ، الجبائيان ،ص128 ، وابراهيم مدكور ، في الفلسفة الإسلامية ، ص103- 104 ومن القدامي ، ابو الحسن الاشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج 2 ، ص483- ص484 ص576- ص577، والشهرستاني، نهاية الإقدام ،ص397- 405- 407

[1] الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص576- 577.

*هذه تحكمات ساقها (الإحتكام الى العقل) (رائعة) لكن والله أعلم ليست (من عقيده أهل السنة) وليست بالحقيقة علي الاطلاق ، وعالم الالوهية أعظم من أن ينساق الي دعوى حكم العقل والله يفعل ما يشاء لأنه إله لذا يجب الفصل بين عالم الغيب الذي لا يستوعبه عقل وعالم والشهادة الذي يفهمه العقل .

**الحقيقة أنه لا يجب علي الله شيء لأنه إله (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وكان الاحرى بمشايخ المعتزلة أن ينتقوا ألفاظهم بدقة تأدباً مع الذات العلية وإن كان أغلب الباحثين يقولون بأن نية المعتزلة طيبة وغايتهم وهدفهم نبيل وسامي هو تنزيه الله سبحانه وتعالي بأي وجه من الوجوه عن الظلم ، ومذهبهم في العدل والصلاح والأصلح واللطف يؤدي الي التفاؤل وهو تفائل شبيه بتفائل ليبنتز في الفلسفة الحديثة ، فضلا عن انسجام وتناسق المذهب منطقيا.

كل ما يختار عنده المرء الواجب ويتجنب القبيح ، أو ما يكون عنده اقرب إما الي اختيار أو الي ترك القبيح ... ويسمي توفيقا ، وربما يسمى عصمة..[1]

ثانيا : الثواب علي الطاعة : اقتضي عدل الله تعالي أن لا يسوى بين المحسن والمسئ وبين المطيع والعاصي ، ولهذا أوجب علي نفسه – عدلاً أن من أطاع الله وجبت له الجنة ولو كان عبدا حبشياً ، ومن عصي الله أدخله النار ولو كان شريفا قريشيا ، لأنهإن لم يكن ذلك لكان ظلما ، والظلم علي الله محال ، ولهذا يري ابو الهذيل أن الله لا يؤلم الأطفال في الآخرة ولا يجوز إن يعذبهم[2] وكذلك (لا يكلف الله العبد ما لا يقدر عليه) [3]بل كفّر أبو الهذيل من يزعم أن الله خلق الجور وأراد السفه وكلّف الزمني والعجزة الذين فيهم العجز ثابت لأنه سفه الله وجوره [4]

د- **علاقة قدرة الانسان بقدرة الله تعالي** :الله سبحانه وتعالي خلق الإنسان وجعله ذا قدرة ليقوم بما كلفه به لأنه لو كلفه مع سلبه القدرة لكان ذلك عبثاً، والعبث على الله محال ، ولعلمه الله سبحانه وتعالي ورحمته بالإنسان لم يجعله قادراً على كل شيء لأنه مع قدرته المحدودة لم تنج الأرض من فساده وعبثه، لهذا يقول ابو الهذيل ((إن الله يقدر عباده علي الحركة والسكون والأصوات والآلام وسائر ما يعرفون كيفيته ، فأما الأعراض التي لا يعرفون كيفيتها كالألوان والطعوم والأرييح والحياة والموت والعجز والقدرة ، فليس يجوز أن يوصف الباري بالقدرة علي أن يقدرهم علي شيء من ذلك)) [5] ولا تتجمع قدرة الإله مع قدرة الإنسان ولا تشبه أفعاله سبحانه أفعالنا.

إذ جعل الله للإنسان قدرةً على اعماله ليكون مسئولاً أمامهسبحانه , فحيث كلفهأعطاه القدرة على العمل حتى إذا قصر في أداء ما أوجبه عليه كان مستحقا للعقاب لكن هل يصح أن يوصف الإله بالقدرة علي ما أقدر عليه عباده ؟ ويمنع أبو الهذيل ذلك ، فلا يصح عنده أن يوصف الإله مثلا بأنه يقدر علي الصلاة التي أقدر عبده عليها ، ولا أن يوصف بالقدرة علي الصوم الذي أقدر عبده عليه كذلك لأن إقدار العبد علي فعل هذه الاشياء انما كان لتصحيح التكليف لا غير ، وإذ كان كذلك لا يقال إن الإله سبحانه عاجزاً عن مثل هذه الأعمال لأنه محال أن يكون مكلفاً ، ولأن هذه الأعمال التي اقدر الله العبد عليها أعمال جسمية والله جل جلاله منزه عن الجسمية ، فإذن لا يصح أن نقول : ان البارئ يوصف بالقدرة علي شيء يقدر عليه عباده ، ويستدل أبو الهذيل علي أنه لا يصح

---

[1] القاضي عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة، مرجع سابق ، ص519.

[2] أبو الحسن الاشعري ، مقالات الاسلاميين ،ص254.

[3] المصدر نفسه ،ص230.

[4] المصدر نفسه ،ص266.

[5] أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ص378.

وصف الاله بالقدرة علي ما أقدر عليه عباده ((أنه محال أن يكون مقدور بين قادرين ، وكما لا يصح أن يوصف الباريء بما أقدر عليه عبده لا يصحُ ان تكونَ أفعاله مشبهة لأفعال العبد))[1] وذلك أن أفعال الإنسان توصف بالحلال والحرام ، وأمّا أفعال الإله سبحانه فلا يصح أن توصف بهذا ؟ لأن ذلك يقتضي أن يكون هناك إله آخر يشرع للإله سبحانه ويبيح له بعض الأفعال ويحرّم عليه سبحانه بعضها ، وهذا لا يليق به تعالى ، لأن الإله هو يفرض على عباده أعمالاً يكلفهم أداءها حتى يكونوا مسئولين ، ويثيب المحسن ويعاقب المسيء.

(و) اللّٰه جل جلاله خالق الخير في الإنسان ؛ والشيطان علة الشر فيه :

فـ" الخاطر الداعي إلى الطاعة من اللّٰه ؛ وخاطر المعصية من الشيطان[2]

(ز) معرفة وجود اللّٰه للإنسان اضطرارية : لقد قسم أبو هديل المعارف الإنسانية إلي قسمين : معارف اضطرارية ومعارف اكتسابية ، وهي المعرفة الناشئة عن الحواس والقياس ؛ فقال :- يلزم الطفل بعد معرفته نفسه أن يأتي بجميع معارف التوحيد والعدل ؛ فكأن معرفة اللّٰه سبحانه وأنه واحد عادل أمر اضطراري فطري في الإنسان عند أبي الهديل وأن الإنسان لا اختيار له في هذه المعرفة ؛ وأنها فطرية .

(ج) معرفة اللّٰه عقلا واجبٌ على الإنسان : قسم أبو الهديل الواجب للّٰه إلي قسمين : (واجب على الإنسان يدركه بفطرته لا بوساطة رسول ولا هاد خارج عن ذاته ، وإنه إن لم يقم بهذا الواجب بناءا على تلك المعرفة الفطرية كان مقصرا بحق اللّٰه سبحانه وتعالى واستحق بذلك العقاب)[1] ، والواجب الآخر هو الذي لا يعرفه الإنسان إلا عن طريق **السمع "الوحي"** بواسطة رسول من عند اللّٰه يهدي الناس إلى الواجب عليهم.

(ط) الإنسان كالصحيفة البيضاء :الإنسان ليس خيرا بطبعه ولا شريراوإنما خلق كالصحيفة البيضاء فهو قابل للخير والشر بفطرته كما تقبل الصحيفة كل نقشعليها يقول أبو الهديل ((إن اللّٰه خلق الكافر لا كافرا ثم انه كفر وكذلك المؤمن))[2]وإذا كان الإنسان لم يفطر على الخير ولا

---

[1] أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ص429.

[2] المصدر نفسه ،ونفس الصفحة.

[1] يرى المعتزلة أن النظر في معرفة اللّٰه هو أول الواجبات على المكلف ، وان هذا الوجوب ناشئ عن ضرورة دفع الضرر الذي يخاف منه المرء عند ترك النظر ، وان هذا الخوف يحصل للمرء بأسباب مختلفة منها الخاطر ،يقول القاضي عبد الجبار:(في شرح الأصول الخمسة) فإن قال وما أسباب الخوف ؟ قلنا تختلف : فربما يكون اختلاطه للناس ؛ وسماع اختلافهم في الأديان وتضليل بعضهم بعضا ؛ وتكفير بعضهم بعضا وربما يكون سبب الخوف دعاء الدعاة وقصص القاصين وتخويف المخوفين وربما يكون ذلك بخاطر من جهة اللّٰه تعالى أو من جهة بعض الملائكة وربما يعتريه الخوف بأن ينظر في كتاب ... ص68

[2] أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، صـ339. ؟ قال تعالى "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت اللّٰه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللّٰه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " سورة الروم : "آية 30"

على الشر وإنما هو يفعل ما يفعله باختياره ويفعل الخير والشر بإرادته ؛ فوجب أن يسأل عن أعماله ؛ وأن يحاسب عليها ويجازي بالخير إحسانا وبالشر عذابا وآلاماً.

3_ آرائه الطبيعية : لم يقف أبو الهذيل العلاف بآرائه على ذات الله وصفاته والإنسان وأخلاقه وواجباته ؛ ولكنه تعرض لبعض الآراء الطبيعية التي تمس وظيفته الدينية ، والتي تساعده على تقرير أرائه الكلامية وتعينه على دفع الخصوم وتثبت العقائد الإسلامية أمام جدلهم الفلسفي ولذلك فهو يدلي برأيه في كثير من المشاكل الطبيعية ؛ فيفرق مثلا بين الجسم والجوهر الفرد ويثبت الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ (أو الذرة بلغة العصر التي أصبحت تتجزأ) ويثبت بذلك مبدأ القدرة الإلهية فيرى مثلا إن الجسم يجوز إن يفرقه الله سبحانه ويبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءا لا يتجزأ ، والجزء الذي لا يتجزأ عنده لا طول له ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع فيه ولا افتراق ، ولا يجوز عليه اللون والطعم والرائحة والحياة والقدرة والعلم ويجوز عليه الحركة والسكون والانفراد ،كما يجوز ان يخلق الله فينا رؤية له، وبأحكامه هذه ليست جسما[1]

وأنكر أبو الهذيل القول بالطفرة* وقال إن للجسم وقفات خفية ، وبين إن الأعراض تنقسم بالمكان أو بالزمان أو بالفاعلين وبين أن الجسم يتحرك بحركة مكانه وإنه يتحرك في الحقيقة ويسكن في الحقيقة وبين أن الأرض ساكنة واقفة لا على شيء وأنه يجوز وجود عرضين في مكان واحد ويفرق بين الحركات والأكوان والمماسات ، وأن الحركة لا تشبه الحركة والعرض لا يشبهه العرض ، وأن الأعراض ترى كما ترى الأجسام ،وكذلك تلمس كما تلمس الألوان وبين أنَّ الألوان و الطعوم والارييح والحياة والقدرة والآلام واللذات ترقى، ورأى أنه يجوز اجتماع بعض المتضادات))[2].

ما نفرد به ابو الهذيل العلاف في مذهبه الكلامي : لخص الشهرستانى في الملل والنحل لما انفرد به ابو الهذيل العلاف عن سائر المعتزلة في عشر قواعد:[1]

الأولى :أن الباري تعالى عالم بعلم ، وعلمه ذاته ، قادر بقدرة،وقدرته ، حي بحياة وحياة ذاته ؛ إنما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه ، وإنما الصفات

---

[1]أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين ، ج2 ، ص 5 ،ص 13، ص14 .

* الطفرة ، الصدفة ، والمصادفة ، والمفاجأة .

[2]أنظر : أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين : ج (2) وكلام أبو الهذيل منتوراً بين أراء غيره ، وأنظر أراء أبو الهذيل الطبيعية كتعريف الجسم و الكمون والألوان ... احمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج3 ، ص581- 582. وقال احمد أمين ، (كما يصح أن نستنتج من هذا أن هذه المسائل كانت أبحاثا مفرقة لا يؤلف بينها النظام ويظهر أن مسلك العالم في ذلك الزمان لم يكن تفكيرا منظما يرتب به أصول المسائل وينتقل من أصل إلى أصل يربط بينهما رباط منطقي ، ثم يستنتج الفروع من الأصول على نظام ثابت ، بل كانت هناك أراء مبعثرةيتلقفها هؤلاء المعتزلة ويضعون كل مسألة تحت البحث والجدل أو بعبارة أخرى يثيرون حولها "الكلام " وهذا الكلام يجري من شيء إلى شيء ، أنظر صفحة 582.

[1]الشهرستاني،الملل والنحل ،ج1،بهامش ،الفصل، لابن حزم ط القاهرة 1321 هـ ص62- 67.

ليست وراء الذات ، معاني قائمة بذاته ؛ بل هي ذاته؛ وترجع إلى السلوب أو اللوازم ...، والفرق بين القول القائل "عالم بذاته لابعلم" وبين قول القائل عالم بعلم هو ذاته " أن الأول نفى الصفة ، والثاني إثبات ذات هو بعينه صفة ، أو إثبات صفة هي بعينها ذات ، وإذ أثبت ابو هذيل هذه الصفات وجوها للذات فهي بعينها أقانيم النصارى أو أحوال أبي هاشم .

الثانية : إنه أثبت إرادات لا محل لها يكون البارئ تعالى مريدا بها ؛ وهو أول من أحدث هذه المقالة ، وتابعه عليها المتأخرون .

الثالثة : قال في كلام البارئ تعالى إن بعضه لا في محل ، وهو قوله : **(كن)** وبعضه في محل كالأمر والنهي والخبر والاستخبار ، وكأن أمر التكوين عنده غير أمر التكليف .

الرابعة : قوله في القدر مثل ما قاله أصحابه ، إلا إنه قدري الأولى (الدنيا) جبري الآخرة ؛فإن مذهبه في حركات أهل الخالدين (الجنة والنار) في الآخرة أنها كلها ضرورية لا قدرة للعباد عليها ، وكلها مخلوقة للبارئ تعالى إذ لو كانت مكتسبة للعباد لكانوا مكلفين بها .

الخامسة : قوله إن الحركات أهل الخالدين تنقطع عنهم ويصيرون إلى سكون دائم خموداً ، وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة ، وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار .

وهذا قريب من مذهب جهنم ، إذ حكم بفناء الجنة والنار وإنما ألتزم أبو الهذيل هذا المذهب لأنه لما ألزم في مسألة ، حدوث العالم أن الحوادث لا أول لها كالحوادث التي لا أخر لها – إذ كل واحدة لا تتناهى - قال : إني لا أقول بحركات لا تتناهى أخرا ؛ كما لا أقول بحركات لا تتناهى أولا ، بل يصيرون إلى سكون دائم وكأنه ظن أن ما لزمه في حركات لا يلزمه في السكون.

السادسة : قوله في الاستطاعة إنها عرض من الأعراض ، غير السلامة والصحة وفرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح فقال لا يصح وجود أفعال القلوب منه مع عدم القدرة والاستطاعة معها في حال الفعل ؛ وجوز ذلك في أفعال الجوارح ، وقال بتقدمها فيفعل بها في الحال الأولى ، وإن لم يوجد الفعل إلا في الحالة الثانية : قال فحال "يفعل " غير حال "فعل" ثم ما تولد من فعل العبد فهو فعله ، غير اللون والطعم والرائحة ،وكل مالا تعرفْ كيفيته وقال في الإدراك والعلم الحادثين في غيره عند استماعه وتعليمه إن الله تعالى يبدعهما فيه ،وليسا من أفعال العباد .

السابعة : قوله في الفكر قبل ورود السمع : أنه يجب عليه إن يعرف الله بالدليل من غير خاطر ، وإن قصر في المعرفة استوجب العقوبة ،أبدا ؛ ويعلم أيضا حسن الحسن وقبح القبيح ،فيجب عليه الإقدام على الحسن : كالصدق والعدل ، والإعراض عن القبيح كالكذب والجور .

وقال أيضا :- بطاعات لا يراد بها الله تعالى ، ولا يقصد بها التقرب إليه : كالقصد إلى النظر الأول (أي القصد إلى النظر لإدراك وجود الله) والنظر الأول فإنه لم يعرف الله تعالى بعد ، والفعل

عبادة ، وقال في المكرة إذا لم يعرف التعريض والتورية فيما أكره عليه فله أن يكذب ويكون وزره موضوعا عنه .

الثامنة : قوله في الآجال الأرزاق إن الرجل إن لم يقتل مات في ذلك الوقت ولا يجوز أن يزاد في العمر أو ينقص والأرزاق على وجهين : أحدهما ما خلق الله تعالى من الأمور المنتفع بها يجوز أن يقال خلقها رزقا للعباد ، فعلى هذا من قال إن أحدا أكل وانتفع بما لم يخلقه الله رزقا فقد أخطأ، لما فيه أن في الأجسام مالم يخلقه الله ، الثاني ما حكم الله به من هذه الأرزاق للعباد : فما أحل منها فهو رزق وما حرّم فليس رزق أي ليس مأمورا بتناوله .

التاسعة : حكي الكعبي عنه انه قال : إرادة الله غير المراد فإرادته لما خلق هي خلقه له وخلقه للشيء عنده غير الشيء بل الخلق عنده قول لا في محل وقال إنه تعالى لم يزل سميعا بصيرا بمعنى سيسمع ، وسيبصر ، وكذلك لم يزل غفورا ، رحيما ،محسنا ،خالقا ، رازقا مثيبا ، معاقبا ، مواليا ، معاديا ، آمرا ، ناهيا –بمعنى أن ذلك سيكون .

العاشرة : حكى عنه جماعة أنه قال : الحجة لا تقوم فيما غاب إلا بخبر عشرين فيهم واحد من اهل الجنة او أكثر ، ولا تخلوا الأرض عن جماعة هم أولياء الله ، معصومين لا يكذبون ولا يرتكبون الكبائر ؛ فهم الحجة لا التواتر ؛ إذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لا يحصون عددا إذا لم يكونوا أولياء الله ولم يكن فيهم واحد معصوم .

أهم نتائج البحث

من خلال البحث تبين الأتي :-

1- يجمع أغلب الباحثين والدارسين لعلم الكلام الاسلامي على أهمية الدور الكبير الذي لعبه أبو هذيّل العلاّف في فكر المعتزلة ، إذ يعتبرونه فيلسوفها الأكبر، ومؤسسها الحقيقي ، فعلى يديه اكتملت قواعد واصول المعتزلة الخمسة التي عُرفت وتميزت بها .

2- كما يجمعون على أهمية دور العلاّف في الدفاع عن العقيدة الإسلامية إبّان الصراع الكبير الذي حدث بدخول جماعات كثيرة من تقافات متعددة واختلاط المسلمين بهم ...، فتسلح العلاّف وغيره بسلاح الفكر والفلسفة وتعمق فيها للدفاع عن الاسلام بالحجج العقلية .

3- ونتيجة النقاش الشديد مع الفرق الإسلامية والجدل الحاصل مع الملل الأخرى ، ابدع أبو هذيّل العلاّف آراءه الإلهية والإنسانية والطبيعية ، كما رأينا من خلال البحث ، وتفرد بعشرآراء عن سائر المعتزلة .

لكن للأسف وصلت إلينا عن طريقالمخالفين له في فكره كالأشعري والشهرستاني ، ولذايجب أن نلتزم الحيطة والحذر من هذه العشر – القواعد –وأن لا نحملها من التأويل ما لا تحتمل ، فلربما انتزعت من سياقها أو أوسئ فهمها أو نقلت إلينا على غير حقيقتها .

مصادر ومراجـــــع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً :- مصادر:

1) القاضي عبد الجبار أحمد الهمذاني ، شرح الأصول الخمسة ، تعليق الإمام الحسين بن أبي هاشم ، تحقيق وتقديم ، عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ،القاهرة ، ط4 ، 2006 م.

2) القاضي عبد الجبار ، فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة ، تحقيق ، فؤاد سيد ، دار التونسية للنشر.تونس،(د.ت) .

3) القاضي عبد الجبار ، المحيط بالتكليف ، نشرة الدار المصرية للتأليف :تحقيق عمر السيد عزمي ، كذلك (المجموع المحيط بالتكليف) مخطوط مصور بدار الكتب المصرية – لوحة 78 - و79أ) من السفر التاسع والعشرون .

4) ابو الحسين الخياط ، الإنتصار والرد على إبن الرواندي الملحد ، مكتبة الثقافة الدينية تقديم ومراجعة ، محمد حجازي ، ط ، القاهرة ،1988م.

5) أحمد بن يحى المرتضى، طبقات المعتزلة ، تحقيق، سوسنة فلزر، فرانز شتانير،فيسبادن، ط 1987م .

6) ابن المرتضى ، المنية والأمل ، باب ذكر المعتزلة ، تحقيق ، توما أرنولد، طبعة الهند سنة ،1316هـ .

7) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط - 11- 1975م.

8) أحمد آمين ، ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط3، ط2008م .

9) إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية ، منهج وتطبيقه ، دار المعارف ، جـ2، طبعة، القاهرة ،1977م.

10) أبو الحسن الأشعري ،مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، طبعة القاهرة ،1950م.

11) أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد الكيلاني، مطبعة الحلبي ،القاهرة ،1967م.

ثالثا: المراجـــــــع :

1) أبو الفتح الشهرستاني،نهاية الإقدام، تحقيق ،ألفردجيوم،مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، د،ت

2) أبو الحسن محمد الملطى الشافعي، 377هـ ،التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع تحقيق محمد زاهد الكوثري ،مطبعة محمد الأمين الخانجي،القاهرة ،1949م.

3) أبو الفداء ،عماد الدين اسماعيل بن ايوب ، ت732هـ ،المختصر في أخبار البشر 4أجزاء في مجلدين.

4) إبن حزم الأندلسي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ،جـ4،مطبعة القاهرة سنة 1331 هـ .

5) أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي،(ت 346هـ) ،مروج الذهب ،مراجعة وتعليق محمد محى الدين عبد الحميد،دار الرجاء ،بغداد ،د.ت.

6) أبو محمد الحسن بن موسى النبوختي ت ،310هـ، فرق الشيعة ،جمعيةالمستشرقين الألمان ،مطبعة الدولة اسطنبول ،1931م.

7) الفنسونلينو (1872- 1938م) بحوث في المعتزلة ضمن ،الثرات اليوناني في الحضارة الإسلامية ، عبد الرحمن بدويوكالة المطبوعات،الكويت، ط4، 1980م.

8) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام ،تحقيق وترجمة،د. محمد عبد الهادي ابو وريدة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة ،د.ت.

9) شاخت وبوزرت، تراث الإسلام ، ترجمة، حسين مؤنس ،إحسان صدقي العمدم، فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ،ط2 ،الكويت ،1988م.

10) طاش كبري زادة ،مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،مراجعة وتحقيق ، كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور، دار الكتب الحديثة ، القاهرة، جـ2، د.ت .

11) عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي ، ت429هـ، الفرق بين الفرق ،تحقيقمحمد محى الدين عبد الحميد،مكتبة ، محمد على اصبيح ، القاهرة،د.ت .

12) على سامى النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الفلسفي في الاسلام ، دار المعارف،القاهرة، ط7 , ط 1977م.

13) علي مصطفي الغرابي، تاريخ الفرق الاسلامية ، مطبعة السعادة،القاهرة، ط1 ،1948م.

14) عبدالحليم محمود ، الاسلام والعقل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 , 1983م.

15) كمال اليازجي وانطون كرم ، اعلام الفلسفة العربية ، مكتبة لبنان،بيروت،ط4 1990م

16) محمود قاسم ، مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ، ضمن كتاب ، مناهج الأدلة في عقائد الملة لإبن رشد ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،ط2 ،1964م .

17) محمد عمارة : تيارات الفكر الاسلامي، دار الشروق،القاهرة، ط2 ،2007م.

18) محمد السيد الجليند، في علم الأخلاق ، مطبعة التقدم ،القاهرة،1979م.

19) محمد السيد الجليند، قضية الخير والشر لدي مفكري الإسلام ، دار قباء،القاهرة ، ط6 ،2006 م .

20) محمد أحمد الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق ، القاهرة ،1342ه.

21) محمد يوسف موسي ، القرآن والفلسفة ، دار المعارف ، القاهرة، ط 1958م.

22) ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، دار المشرق،بيروت ، ط2 ،2000م.

23) هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ترجمة، نصير مروة وحسن قبيسي، الامام ، موسي الصدر والامير ، عارف تامر ، منشورات عويدات، بيروت ، باريس ط3 ،1983.

رابعاً: الرسائل العلمية :-

1- زهدي جار الله ،المعتزلة –اطروحة دكتوراة–منشورة ، مطبعة مصر ، القاهرة 1947م .

2- علي فهمي خشيم ، الجبائيان ، ماجستير ،منشورة، الجامعة الليبية، طرابلس ، ط1 ، 1968